البحث الثالث عشر

يريد اللّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
نماذج من القراءات القرآنية

الدكتور/ شادي بن أحمد بن توفيق الملحم
الأستاذ المساعد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم القرآن وعلومه، جامعة القصيم– المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

اليسر من أبرز سمات الدين الإسلامي في كافة مجالاته وميادينه، واليسر في القرآن الكريم واضح بيّن، بل ومنصوص عليه كما في قوله تعالى:عُيُونًا وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٱلْأَرْضَ[1]، إلا أن ثمة هناك قول عند كثير من الناس وبعض طلبة العلم بأن القراءات القرآنية فيها مشقة وصعوبة على الناس، وهذا يتعارض مع الآية السابقة.

فجاء هذا البحث ليوضح حقيقة اليسر في القراءات القرآنية من مصدرها الأساسي –الأحرف السبعة – ابتداءً ، وكيف أن الرسول عليه السلام حرص على اليسر على أمته من خلال تعدد الأحرف القرآنية، إلى أن استقرت القراءات المتواترة، فوضح البحث اليسر فيها من خلال بعض النماذج في أصولها، وهي الإدغام، والهمزة، والإمالة، ليقرر البحث حقيقة خالدة، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، في جميع المناحي عامة، وفي القرآن والقراءات خاصة.

١ ـ سورة القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

المقدمة

الحمد لله منزل القرآن رحمة للناس، والصلاة والسلام على رسوله وصفوة خلقه، وبعد؛

فالقرآن الكريم الكتاب المعجز الخالد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا يمله الأتقياء، ولا يشبع منه العلماء.

قال تعالى: عُيُونًا يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ٱلْأَرْضَ [1]، يقول الشوكاني في تفسيرها: فيه أن هذا مقصد من مقاصد الرب سبحانه، ومراد من مراداته في جميع أمور الدين(٢)، ويقول القرطبي: والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين، كما قال تعالى:عُيُونًا وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ٱلْأَرْضَ [3]، وروى النبي –صلى الله عليه وسلم–: (دين الله يسر)(٤)، واليسر من السهولة(٥).

فاليسر هو الأصل في جميع أحكام الدين، وقد وردت كلمة اليسر بمشتقاتها المختلفة إحدى وأربعين مرة في القرآن الكريم، منها ثمان مرات تتحدث عن يسر القرآن الكريم، إلا أننا كثيراً ما نسمع من بعض الناس ومن بعض طلبة العلم ، مقولة أن القراءات القرآنية صعبة وفيها عسر، ومعلوم أن القراءات المتواترة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزلت من أجل التيسير على الأمة، فثمة سؤال وهو أين العسر في القراءات القرآنية والتي يصعب على معظم الناس تعلمها وفهمها، من هنا جاءت فكرة البحث لتوضيح تيسير تلكم القراءات من خلال بعض النماذج في أصولها، إذ أن الحديث في الفرشيات يطول، موضحاً بعض النصوص الشرعية في إرادة التيسير للأمة في القرآن الكريم عموماً، وفي تلاوته على وجه الخصوص.

---

١ ـ سورة البقرة:١٨٥.
٢ ـ فتح القدير ٢١٠/١.
٣ ـ سورة الحج: ٧٨.
٤ ـ أخرجه البيهقي بلفظ (الدين يسر)، انظر: فيض القدير ٤١٤/١ رقم ١٣٢٥.
٥ ـ الجامع لأحكام القرآن ٦٨١/١.

فجاء البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة:

الفصل الأول: التيسير من خصائص القرآن

المبحث الأول: اليسر من أهم فوائد اختلاف القراءات

المبحث الثاني: نصوص قرآنية في تيسير القرآن الكريم

المبحث الثالث: نصوص نبوية في تيسير القرآن الكريم

الفصل الثاني: نماذج من القراءات القرآنية

المبحث الأول: الإدغام

المبحث الثاني: الهمزة

المبحث الثالث: الإمالة

سائلاً المولى أن يتقبل هذا العمل وأن يجازي بالإحسان إحساناً وبالتقصير عفواً وغفرانا...

الفصل الأول

التيسير من خصائص القرآن

المبحث الأول: اليسر من أهم فوائد اختلاف القراءات

إن المتتبع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، التي تحدثت عن نزول القرآن عموماً، وعن نزوله على سبعة أحرف خصوصاً، يلحظ دون عناء وكثير استنباط، إلى أن الهدف الرئيس من نزول القرآن على سبعة أحرف –والقراءات المتواترة جزء منها– هو التسهيل على الأمة والتيسير على الناس، وفتح المجال لسعة الاختيار، ولا أدل على ذلك من ألفاظ (لا تُطيق، هوِّنْ، العجوز، الشيخ الكبير، الغلام، الجارية...) فكل هذه الألفاظ وغيرها التي وردت في أحاديث صحيحة تُجلّي الحكمة الرئيسة من تعدد القراءات القرآنية، وتوضح السبب المباشر من طلب رسول الرحمة –عليه الصلاة والسلام– الاستزادة من أحرف القرآن الكريم حتى بلغت سبعة.

وهنا لا بد من التأكيد على قضية معلومة بالضرورة لمن يشتغل بهذا الفن ،ألا وهي أن القراءات المتواترة إنما هي جزء من الأحرف السبعة، وبالتالي فإن الحكمة من تعدد الأحرف القرآنية، تنطبق تماماً على تعدد واختلاف القراءات القرآنية.

فلا عجب أن معظم –إن لم يكن كل– مَن كتب في فوائد اختلاف القراءات أو الأحرف القرآنية، جعل التيسير والتسهيل على الناس في مقدمة حديثه وصدر بيانه.

قال ابن الجزري: وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر لها، والتهوين عليها، شرفاً لها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق، وحبيب الحق، حيث أتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال عليه

السلام: أسأل الله معافاته ومعونته فإن أمتي لا تطيق ذلك ، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال وكما ثبت أن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وأن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد، وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين، والنبي عليه الصلاة والسلام بعث إلى جميع الخلق؛ أحمرهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، وكان العرب الذي نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج، لا سيما الشيخ، والمرأة، ومن لم يقرأ كتاباً، كما أشار إليه النبي عليه السلام، فلو كلِّفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم، لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع[١].

وقال السيوطي: منها –أي من فوائد القراءات– التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة[٢].

وقال الزرقاني: إن الحكمة في نزول القرآن على الأحرف السبعة هو التيسير على الأمة الإسلامية كلها، خصوصاً الأمة العربية التي شوفهت بالقرآن، فإنها كانت قبائل كثيرة، وكان بينها اختلاف في اللهجات، ونبرات الأصوات، وطريقة الأداء، وشهرة بعض الألفاظ في بعض المدلولات، على رغم أنها كانت تجمعها العروبة، ويوحد بينها اللسان العربي العام، فلو أخذت كلها بقراءة القرآن على حرف واحد، لشق ذلك عليها كما يشق على القاهري منها أن يتكلم بلهجة الأسيوطي مثلاً، وإن جمع بيننا اللسان المصري العام...[٣].

١ ـ النشر في القراءات العشر ٢٢/١.
٢ ـ الإتقان في علوم القرآن ١٦٤/١.
٣ ـ مناهل العرفان ١٠٨/١.

وقال الدكتور أحمد الخراط: وقد تحدثت بعض كتب علوم القرآن عن فائدة اختلاف القراءات، وما يمكن أن نستنبطه من هذا الاختلاف، ومن ذلك: أولاً: التسهيل والتخفيف على أمة القرآن، فقد كان المسلمون الأوائل ينضون تحت قبائل متعددة، بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات وطريقة الأداء، وكان العربي الذي تعلّم من قبيلته لهجة معينة، يصعب عليه تجاوزها والانتقال إلى غيرها، ومن هنا تأتي هذه القراءات طريقاً يسهل على الأمة فهم القرآن وتلاوته، وتيسير ذكره وفقهه، وتنصرف هذه الفائدة إلى القراءات التي لا تعلق لها بالتفسير ومعاني الألفاظ، وإنما تتصل بوجوه النطق بالحروف، والأداء اللفظي للكلمات؛ كالإمالة، وتسهيل الهمز، وهاء الكناية، وأوجه الوقف، والتقاء الساكنين[1].

لذلك سيركز هذا البحث في الفصل الثاني –في النماذج– على ما يتعلق بوجوه النطق، والأداء اللفظي للكلمات، فإرادة اليسر فيها أوضح وأبين.

ولاختلاف القراءات فوائد أخرى كثيرة، منها ما يتعلق بالبلاغة والإعجاز، ومنها ما يتعلق بتعظيم الأجور وفضل هذه الأمة، ومنها ما يتعلق بالتشريع وغيرها، وليس المقام لتفصيلها[2].

وكذلك الناظر إلى آيات القرآن الكريم، يرى بجلاء ووضوح بروز معنى اليسر في القرآن الكريم والقراءات –وقد تم توضيح ذلك في المبحث التالي–، بل إن الدين الإسلامي كله قائم على اليسر، ومراعاة أحوال الناس، وظروفهم، في سائر تشريعاته وأحكامه؛ من عبادات، ومعاملات، وعقوبات، قال تعالى:عُيُونًا يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ٱلْأَرَضَ [3].

١ ـ الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة ١٦-١٧.
٢ ـ للاطلاع ينظر: الإتقان في علوم القرآن ١/١٦٤-١٦٥، مناهل العرفان ١/١٠٩-١١٣، والإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة ١٧-٢١.
٣ ـ سورة البقرة:١٨٥.

المبحث الثاني: نصوص قرآنية في تيسير القرآن الكريم

يظن بعض الناس أن القراءات القرآنية فيها مشقة وعسر، لكثرة وجود الخلاف والوجوه، ولبعدها عن لغة الكثيرين، وهذا الظن قد يقع في القراءات وغيرها من عبادات وأحكام، كما وقع في الصيام مثلاً وغيره، فلا غرابة أن يأتي قوله تعالى:﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1] في أثناء آيات الصيام؛ رداً على من يظن العسر في الصيام من نظرة سطحية، أما مَن أمعن وأنعم النظر، عرف اليسر على حقيقته في الصيام وغيره، قال ابن عاشور: ولا يريد بكم العسر: نفي لضد اليسر، وقد كان يقوم مقام هاتين الجملتين جملة قصر نحو أن يقول: ما يريد بكم إلا اليسر، لكن عدل عن جملة القصر إلى جملتي إثبات ونفي لأن المقصود ابتداءً هو جملة الإثبات لتكون تعليلاً للرخصة، وجاءت بعدها جملة النفي تأكيداً لها، ويجوز أن يكون قوله: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر تعليلاً لجميع ما تقدم من قوله(كُتب عليكم الصيام)إلى هنا، فيكون إيماء إلى أن مشروعية الصيام وإن كانت تلوح في صورة المشقة والعسر، فإن في طياتها من المصالح ما يدل على أن الله أراد بها اليسر، أي تيسير تحصيل رياضة النفس بطريقة سليمة من إرهاق أصحاب بعض الأديان الأخرى أنفسهم[2].

إذاً، فظن الناس أو بعضهم لا يقوم على منهج صحيح أو مقدمات سليمة، فالعيب والضعف في لغة الناس، وبعدهم عن لغتهم الفصيحة، حتى استعجموا القرآن خاصة، والقراءات عامة.

وقد وردت كلمة اليسر بمشتقاتها المختلفة إحدى وأربعين مرة في القرآن الكريم، وهي تشمل معاني اليسر بصوره المختلفة، مثل آية البقرة السالفة الذكر التي قال عنها الشوكاني: وفيه أن هذا مقصد من مقاصد الرب

١ ـ سورة البقرة:١٨٥.
٢ ـ التحرير والتنوير ١/١٧٥.

سبحانه، ومراد من مراداته في جميع أمور الدين(١).

وكذلك من آيات اليسر قوله تعالى:عُيُونًا وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ٱلْأَرْضَ[٢]، فهاتان الآيتان تنصان على منهج اليسر في الإسلام، فالله سبحانه وتعالى يريد لنا اليسر، وقد يسر لنبيه-عليه السلام- الأمر كله، قال أبو حيان: وظاهر اليسر والعسر العموم في جميع الأحوال الدنيوية والأخروية(٣)، والآيات في ذلك كثيرة، ومنها سبع آيات تتكلم عن يسر القرآن خاصة وهي:عُيُونًا فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ٱلْأَرْضَ[٤]،عُيُونًا فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٱلْأَرْضَ[٥]،عُيُونًا وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٱلْأَرْضَ[٦]، وقد تكررت هذه الآية أربع مرات،عُيُونًا ...فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ...ٱلْأَرْضَ[٧].

فهذه سبع آيات ذكرت اليسر الخاص بالقرآن الكريم ثمان مرات، ونلحظ أنها جميعها في سور مكية، حيث عاش الصحابة الحياة القاسية، وعانوا التعذيب والمشقة، وكانوا يخفون إسلامهم وشعائرهم، ومع ذلك فإن القرآن الكريم كان وسيبقى يسيراً إلى قيام الساعة.

ووجوه التيسير في القرآن الكريم كثيرة جداً، فمنها تيسير القرآن بأن نقل قصص السابقين وأخبارهم إلى اللغة العربية، قال الرازي: ولولا أنه تعالى نقل قصصهم إلى اللغة العربية، لما تيسر ذلك على الرسول -صلى الله عليه

١ ـ فتح القدير ٢١٠/١.
٢ ـ سورة الأعلى: ٨.
٣ ـ البحر المحيط ٤٩/٢.
٤ ـ سورة مريم: ٩٧
٥ ـ سورة الدخان: ٥٨.
٦ ـ سورة القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠
٧ ـ سورة المزمل:٢٠.

وسلم-، فأما أن القرآن يتضمن تبشير المتقين وإنذار من خرج منهم فبيّن(١).

ومن دلائل تيسيره، الأمر بقراءته كما في سورة المزمل:عُيُونًا فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ٱلۡأَرۡضَ(٢)، قال القرطبي: وفي قدر ما تضمنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقوال: أحدها: جميع القرآن، لأن الله تعالى يسره على عباده، قاله الضحّاك، الثاني: ثلث القرآن، حكاه جُويبر، الثالث: مائتا آية، قاله السدّي، الرابع: مائة آية، قاله ابن عباس، الخامس: ثلاث آيات كأقصر سورة، قاله أبو خالد الكناني(٣)، والظاهر العموم؛ فكل مسلم يقرأ من القرآن القرآن بقدر استطاعته ووقته، وهذا يختلف من إنسان لآخر، ومن حال إلى حال، ولكن يبقى المسلمون يتنافسون في كثرة قراءته، رفعاً للدرجات، ونيلاً للجنات، وإكثاراً من الصالحات.

وقد أشارت آية القمر التي تكررت أربع مرات في نفس السورة:عُيُونًا وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ٱلۡأَرۡضَ(٤)، إلى أن التيسير والتسهيل مرتبط مرتبط بمن أراد أن يتذكر ويتعظ ويعتبر، فلا غرابة أن نجد كثيراً من الناس يجدون في القرآن مشقة في تلاوته وفهمه وتطبيقه، قال الطبري في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ولقد سهلنا القرآن بيَّناه وفصلناه للذكر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ، وهوناه(٥)، ثم نقل عن قتادة: يقول فهل من طالب خير يُعان عليه(٦).

ومما لا شك فيه أن تيسيره يشمل تيسير حفظه، وهذا بيّن ظاهر قديماً

١ ـ مفاتيح الغيب ٢٥٧/٢١.
٢ ـ سورة المزمل:٢٠.
٣ ـ الجامع لأحكام القرآن ٣٥٢/٢١.
٤ ـ سورة القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.
٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١٦/٢٥.
٦ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١٦/٢٥.

وحديثاً، فلا زال الحفاظ يزيدون في الأمة، ويكثرون حتى بلغوا الملايين، وهم في سباق دائم لكمال الإتقان وجودة الحفظ، قال الآلوسي في تفسير قوله تعالى:عُيُونًا وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٱلأَرْضَ، وقيل المعنى : سهلنا القرآن للحفظ لما اشتمل عليه من حسن النظم، وسلاسة اللفظ، وشرف المعاني وصحتها، وعُرُوِّه عن الوحشي ونحوه، فله تعلق بالقلوب، وحلاوة في السمع، فهل من طالب لحفظه لِيُعان عليه، ومن هنا قال ابن جبير: لم يُستظهر شيء من الكتب الإلهية غير القرآن، وأخرج ابن المنذر وجماعة عن مجاهد أنه قال: يسرنا القرآن: هوَّنا قراءته(١).

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: لولا أن الله تعالى يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله تعالى، وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً مثله(٢).

وقال الطاهر بن عاشور: فإن نزول القرآن بأفضل اللغات وأفصحها، هو من أسباب فضله على غيره من الكتب، وتسهيل حفظه ما لم يسهل مثله بغيره من الكتب(٣).

وقال أبو حيان: وقيل للذكر: للحفظ: أي سهلناه للحفظ لما اشتمل عليه من حسن النظم، وسلامة اللفظ، وعُرُوِّه عن الحشو، وشرف المعاني وصحتها، فله تعلق بالقلوب، فهل من مدّكر، أي من طالب لحفظه ليُعان عليه ، وتكون زواجره وعلومه حاضرة في النفس(٤).

بل إن هذا الحفظ خاص بالقرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية، قال القرطبي: وقال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يُقرأ كله ظاهراً إلا

١ ـ عزاه لابن المنذر السيوطي في الدر المنثور ١٣٥/٦، وأخرجه الطبري ١٣٠/٢٢،والبيهقي في الأسماء والصفات ٥٧٣.
٢ ـ روح المعاني ١٩٩/٢٦.
٣ ـ التحرير والتنوير ١٧٦/١٦.
٤ ـ البحر المحيط ١٧٨/٨.

القرآن، وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسرائيل، ولم يكونوا يقرؤون التوراة إلا نظراً غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير، ومن أجل ذلك افتتنوا بعُزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبه حين أحرقت(١).

وإن من تيسيره أيضاً؛ تيسير تلاوته على الناس عموماً حتى العجم منهم، قال الماوردي: ولقد يسرنا القرآن للذكر: فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: سهلنا تلاوته على أهل كل لسان، وهذا أحد معجزاته، لأن الأعجمي قد يقرأه ويتلوه كالعربي(٢).

وكذلك من التيسير تسهيل العظة والاعتبار عموماً وحب سماعه دائماً، فإن المسلم يتوق ويشتاق لسماع القرآن ولا يمل منه مهما كثر وتردد، قال الرازي: فهل من مدكر: سهلناه للاتعاظ حيث أتينا فيه بكل حكمة، وجعلناه بحيث يعلق بالقلوب ويستلذ سماعه، ومن لا يفهم يفهمه ولا يسأم من سمعه وفهمه ولا يقول قد علمت فلا أسمعه، بل كل ساعة يزداد منه لذة وعلماً(٣).

وقال أبو حيان: للذكر: أي للاذِّكار والاتعاظ لما تضمنه للوعظ والوعد والوعيد(٤).

وقال البقاعي: ولقد يسرنا القرآن للذكر: أي الاتعاظ والتذكر والتدبر والفهم والحفظوالتشريف لمن يراعيه، قال ابن برجان: أنزلناه باللسان العربي وأنزلناه للأفهام تنزيلاً وخاطبناهم بعوائدهم، وأعلمنا من قبل أعمالهم وأقبسناهم المعرفة واليقين من قبل ذواتهم، وضربنا لهم الأمثال، وأطلنا لهم في هذه الأعمال؛ ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم، وقال القشيري: يسّر قراءته على ألسنة قوم، وعلّمه على قلوب قوم، وفهّمه على قلوب قوم،

١ ـ الجامع لأحكام القرآن ١١٤/١٧.
٢ ـ النكت والعيون٤١٣/٥.
٣ ـ مفاتيح الغيب ٤٣/٢٩.
٤ ـ البحر المحيط ١٧٨/٨.

وحفّظه على قلوب قوم، وكلهم أهل القرآن، وكلهم أهل الله وخاصته(١).

فهذه الوجوه وغيرها نزرٌ يسير من تيسير القرآن الكريم، وكما هو ثابت عند أهل القراءات، فإن القراءات المتواترة بمجموعها يطلق عليها: القرآن الكريم، فكلما كثرت وجوه القراءة وطرق الأداء واتسعت الخيارات أمام القارئ، كلما تجلى معنى اليسر والتيسير في قراءة القرآن وحفظه، وفهمه وتطبيقه، والعمل فيه، وتعليمه، فكل هؤلاء هم أهل القرآن، فهم أهل الله وخاصته، وأختم المبحث بكلام جزل رصين للطاهر بن عاشور يلخص فيه القول، فيقول:

والتيسير إيجاد اليسر في شيء من فعل كقوله: يريد الله بكم اليسر، أو قول كقوله تعالى:عُيُونًا فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٱلْأَرْضَ[٢]واليسر: السهولة، وعدم الكلفة في تحصيل المطلوب من شيء، وإذا كان القرآن كلاماً، فمعنى تيسيره يرجع إلى تيسير ما يراد من الكلام،وهو فهم السامع المعاني التي عناها المتكلم به دون كلفة على السامع ولا إغلاق كما يقولون: يدخل للأُذن بلا إذن، وهذا اليسر يحصل من جانب الألفاظ وجانب المعاني؛ فأما من جانب الألفاظ فذلك بكونها في أعلى درجات فصاحة الكلمات وفصاحة التراكيب، أي فصاحة الكلام، وانتظام مجموعها، بحيث يخف حفظها على الألسنة. وأما من جانب المعاني فبوضوح انتزاعها من التراكيب، ووفرة ما تحتوي عليه التراكيب منها من مغازي الغرض المسوقة هي له، وبتولد

معان من معان أخر، كلما كرر المتدبر تدبره في فهمها(٣).

المبحث الثالث: نصوص نبوية في تيسير القرآن الكريم

١ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠٨/١٩.
٢ ـ سورة الدخان: ٥٨.
٣ ـ التحرير والتنوير١٨٨/٢٧.

إن الأحاديث النبوية في الأحرف السبعة والحكمة منها كثيرة جداً، وتبيّن في معظمها أن الحكمة الرئيسة من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف هي التيسير والتخفيف على الأمة، وسأكتفي ببعض هذه الأحاديث واستنباط مظاهر التيسير منها.

الحديث الأول:عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عيه وسلم: فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثرة، لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة، حتى سلّم، فلببته بردائه، فقلت: مَن أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرسله، اقرأ يا هشام)، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك أنزلت) ثم قال: (اقرأ يا عمر) فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه) (١).

الحديث الثاني:عن أبي بن كعب –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان عند أضاة بني غفار فأتاه جبريل–عليه السلام–فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال: (أسأل الله معافاته ومغفرته

١ - أخرجه البخاري رقم ٢٩٤٣، كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف وأطرافه فيه ٤٩٩٢، ٥٠٤١، ٦٩٣٦، ٧٥٥٠، ورواه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه رقم ٢٧٠، وأبو داوود كتاب الصلاة باب أنزل القرآن على سبعة أحرف رقم ١٤٧٥، والنسائي كتاب الافتتاح باب جامع ما جاء من القرآن رقم ٩٣٧.

وإن أمتي لا تطيق ذلك) ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين، فقال: (أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك) ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: (أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك) ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه، فقد أصابوا(١).

الحديث الثالث:عن أبي بن كعب-رضي الله عنه- قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة، دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر، فقرأ سوى قراءة صاحبه؛ فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأا، فحسن النبي صلى الله عليه وسلم بشأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني، ضرب في صدري، فغصت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقاً، فقال لي: (يا أبي أرسِل إلي أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه: أن هوِّن على أمتي، فرد إلي الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه: أن هوّن على أمتي، فرد إلي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت:(اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام)(٢).

---

١ - رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه رقم ٢٧٧، وأبو داوود كتاب الصلاة، باب أنل القرآن على سبعة أحرف رقم ١٤٧٦، والنسائي كتاب الافتتاح باب جامع ما جاء من القرآن رقم ٩٣٩.

٢ - رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه رقم ٢٧٣، وأبو داوود، كتاب الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف رقم ١٨٧٤، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن، رقم ٩٣٨.

الحديث الرابع:عن أبي–رضي الله عنه– قال: لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال:(يا جبريل إني بُعثتُ إلى أمة أميين، فيهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط) قال: يا محمد إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف(١).

فهذه أربعة أحاديث صحيحة من الأحاديث التي ذكرت الأحرف السبعة وهي كثيرة جداً، واختيرت دون غيرها، لدلالتها الواضحة والصريحة على هدف الدراسة –التيسير في القراءات – فالأحرف السبعة هي مصدر القراءات ومنبعها، فإذا علمت الحكمة من الأحرف السبعة، كانت هي عينها من القراءات التي يظن بعض الناس أنها من الأمور الصعبة، ولا يستطيع تعلمها كثير من الناس.

ومن خلال هذه الأحاديث الأربعة، أشير إلى بعض مظاهر إرادة اليسر للأمة في الأحرف السبعة:

أولاً: كثرة الألفاظ المباشرة والتي تنص على أن التيسير والتخفيف الحكمة من الأحرف السبعة، كألفاظ (فاقرؤوا ما تيسر منه)، (إن أمتي لا تطيق ذلك)، (أن هوّن على أمتي)، فهذه ألفاظ صريحة تبيّن سبب الحرص من الرسول – عليه الصلاة والسلام– على تعدد أحرف القرآن الكريم.

ثانياً: تكرار بعض الألفاظ السابقة للتأكيد عليها، وبيان علة سبب طلب الرسول عليه الصلاة والسلام تعدد أحرف القرآن، كما في عبارة (إن أمتي لا تطيق ذلك) فقد ذكرها الرسول –عليه السلام– ثلاث مرات، وكذلك لفظ (أن هوّن على أمتي) فقد ذكره الرسول –عليه السلام– مرتين.

ثالثاً: الألفاظ غير المباشرة والتي تبيّن حال كثير من المسلمين التالين للقرآن الكريم، إذ أن تلاوة القرآن الكريم فرض على جميع الأمة، والتي فيها العجوز

---

١ ـ رواه أحمد ٤٤/١، والترمذي، باب ما جاء أن القرآن على سبعة أحرف ١٥/٣، وقال الترمذي: حسن صحيح.

والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، فهؤلاء كغيرهم كلّفوا بتلاوة القرآن الكريم، وذكروا في الأحاديث كسبب من أسباب التخفيف على الأمة بتعدد أحرف القرآن ، إذ لو بقي على حرف واحد؛ لشق عليهم.

رابعاً: حرص الرسول –عليه الصلاة والسلام– على كثرة أحرف القرآن الكريم، فلما أتاه جبريل –عليه السلام– يأمره أن يقرأ أمته القرآن على حرف طلب الزيادة، وكذا الحال لما أُمر أن يُقرأ أمته القرآن على حرفين وثلاثة، حتى بلغ العدد سبعة، لأنه بكل زيادة حرف سعة ويسر على الأمة، وفيه تعدد في طرق الأداء، وتغاير في الألفاظ وزيادة في المعاني، مما يجلّي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [1].

خامساً: قوله عليه الصلاة والسلام: (أسأل الله معافاته ومغفرته) عندما أمر أن يُقرأ أمته القرآن على حرف وحرفين وثلاثة، فهذا نص صريح في أن هذا العدد من الأحرف فيه مشقة على الأمة باختلاف ألسنتها، وتباين مستوياتها، وتعدد قدراتها، فلما بلغت الأحرف المنزلة سبعة، سكت –عليه الصلاة والسلام– لأن فيه تحقيقاً لليسر، كيف لا وهو الذي وصفه القرآن: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [2].

سادساً: إن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف –والقراءات المتواترة جزء منها– لا يلزم الناس بتعلمها جميعها، والقراءة بها كلها، فهذا مناقض للحكمة منها، وقد نص الرسول –عليه الصلاة والسلام– على أن مَن قرأ بأي حرف فقد أصاب، وكذلك بقوله: (فاقرؤوا ما تيسر منه)، ومعلوم أن ما يتيسر لشخص قد لا يتيسر لغيره.

---

١ ـ سورة البقرة:١٨٥.
٢ ـ سورة التوبة: ١٢٨.

سابعاً: إن كثرة الأحاديث والروايات الصحيحة التي جاءت موضحة ومبينة الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف، إنما تزيد اليسر يسراً، فلو كان في المسألة حديث أو حديثان لبقي في قلوب كثير من المسلمين حرج وضيق، كيف لا وقد حصل هذا الحرج والضيق مع بعض الصحابة الكرام أول الأمر، فهذا عمر -رضي الله عنه- يُغلظ القول لهشام -رضي الله عنه-، وهذا أُبي أحد كبار قرّاء الصحابة، عندما حسّن الرسول-عليه السلام- قراءة الرجلين الآخرين، فقد قال: فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فإن كثرة الأحاديث والروايات بلا شك تزيل اللبس وتزيد المؤمنين إيماناً مع إيمانهم.

الفصل الثاني

نماذج من القراءات القرآنية

المبحث الأول: الإدغام

تمهيد:

والإدِّغام بالتشديد من ألفاظ البصريين، والإدغام بالتخفيف من ألفاظ الكوفيين، ومعناه في الكلام: أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينها بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد، يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة فيصير الحرف الأول كالمستهلَك لا على حقيقة التداخل والإدغام وذلك نحو: شدّ ومدّ ونحوهما، والغرض بذلك طلب التخفيف لأنه ثقل عليهما التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به[١].

وأوضحَ علماء النحو واللغة قبائل الإدغام وهي تميم وقيس وأسد، وبعد دراسة نصوص في الإدغام؛ تقرر أن الإدغام كان يغطي منطقة أوسع مما ذهب إليه النحاة، إذ ظهر في قبائل عقيل، وعامر بن صعصعة، وبكر بن وائل، وغيرها، وكذلك وصل الحجاز[٢].

المطلب الأول: **تعريف الإدغام**

أولاً: لغة: مصدر أدغم الرباعي، وأصله من الثلاثي: دغم، ويدل أصل معناه كما يقول ابن فارس: الدال والغين والميم أصلان، أحدهما من باب الألوان، والآخر: دخول شيء في مدخل ما[٣]، والأصل الثاني هو المناسب

١ ـ شرح المفصّل ١٠/١٢١.
٢ ـ اللهجات العربية في التراث١/٣١٣.
٣ ـ مقاييس اللغة ٢/٢٨٤، وينظر: جهد المقل ١٠٦.

للمعنى الاصطلاحي. وقال ابن منظور: والإدغام إدخال حرف في حرف، والإدغام: إدخال اللجام في أفواه الدواب، وأدغم الفرس اللجام: أدخله في فيه، وقال الأزهري: وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا[١].

ثانياً:اصطلاحاً: اختلفت وتنوعت تعريفات العلماء للإدغام في الاصطلاح، وسأذكر بعضها موضحاً ما استقر عليه التعريف.

عرّفه الداني: هو وصلك حرفاً ساكناً بحرف آخر متحرك، من غير أن يفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد، يرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة، ويلزم موضعاً واحداً ويشتد الحرف[٢].

وعرّفه السخاوي بقوله: ومعنى الإدغام أن تصل حرفاً ساكنا بحرف متحرك مماثل له، يرتفع العضو ارتفاعة واحدة[٣].

وعرّفه ابن الجزري بقوله: وأما الإدغام فهو عبارة عن: خلط الحرفين وتصييرهما حرفاً واحداً مشدداً[٤].

وعرّفه السيوطي بقوله: اللفظ بالحرفين حرفاً كالثاني مشدداً[٥].

وبعد هذه التعريفات لعلماء مختلفي الأزمان من القرن الخامس وحتى العاشر، نرى بأن التعريف الذي استقر عليه معظم العلماء في هذا الفن هو تعريف السيوطي[٦].

١ ـ لسان العرب١٣٩١/٢.
٢ ـ الإدغام الكبير ٤٠.
٣ ـ جمال القرّاء ٤٨٥/٢.
٤ ـ التمهيد ٥٥.
٥ ـ الإتقان في علوم القرآن ١٨٩.
٦ ـ ينظر: الوافي في شرح الشاطبية ٥٣، المرشد٥٣، الوسيط ١٣٢، حلية التلاوة ٣٤.

المطلب الثاني: فائدته

اتفق العلماء في اللغة والقراءة على أن فائدة الإدغام التسهيل والتخفيف في النطق بالحروف، إذ أن النطق بالحرف الواحد أسهل وأخف على اللسان من النطق بالحرفين، من ثم جيء بالإدغام لتحقيق هذا المقصود(١).

قال المالقي في شرح كتاب التيسير للداني: وفائدة الإدغام: تخفيف الكلمة إذ النظق بالحرف مرة واحدة وإن كان مشدداً أخف من النطق به مرتين إذا فك، ولهذا شبه الخليل تكرار الحرف بمشي المقيّد إذا رفع رجله ثم وضعها –عادت حيث كانت– فكذلك تكرار النطق بالحرف الواحد، لأن العضو الناطق يعتمد في المرة الثانية على ما اعتمد عليه في المرة الأولى(٢).

وقال الدكتور الحذيفي: وفائدة الإدغام الخفة واليسر في النطق، إذ النطق بحرف واحدأيسر على اللافظ من النطق بحرفين، وقال أيضاً: ووجه حذف الغنة في اللام والراء؛ المبالغة في التخفيف(٣).

ويحصل الفرق بين الحرف المدغم وغير المدغم من وجهين؛ أحدهما: أن المدغم مشدد وغير المدغم مخفف، فعلى هذا كل حرف مشدد مدغم، وثانيهما: أن زمان النطق بالحرف المدغم أطول من زمان النطق بالحرف غير المدغم بقدر ما فيه من التضعيف، كما أن زمان النطق بالحرفين المفككين أطول من زمان النطق بالحرف المدغم(٤).

وقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً أن فائدة الإدغام هو اليسر والسهولة،

---

١ ـ هداية القاري ٢٣١/١، الوسيط ٢٨٦، المنير في أحكام التجويد ١٥٩.
٢ ـ الدر النثير والعذب النمير ١٧٣.
٣ ـ التجويد الميسر ٥٣ و ٧٢.
٤ ـ الدر النثير والعذب النمير ١٧٢.

ومن هنا نلحظ أن كثرة الإدغامات في القراءات القرآنية إنما هي أمثلة ونماذج على يسر القرآن وسهولته وإرادته التيسير على الناس عُيُونًا يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ٱلْأَرْضَ[1].

المطلب الثالث: أسبابه

للإدغام أسباب ثلاثة هي التماثل، والتجانس، والتقارب.

أولاً: إدغام المتماثلين.

المتماثلان: الحرفان اللذان اتحدا مخرجاً وصفة(٢)، فإذا التقى حرفان متماثلان أولهما ساكن والثاني متحرك فيدغم الحرف الأول في الثاني ليصبحا حرفاً واحداً مشدداً، نحو:عُيُونًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ٱلْأَرْضَ[3]،عُيُونًا مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ٱلْأَرْضَ[4]، وأنبه هنا إلى أحد التعريفات في المتماثلين وهو: هما الحرفان اللذان اتحدا ذاتاً أو اندرجا في الاسم، وهذا التعريف يدخل فيه الواوان والياءان في نحو:عُيُونًا قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ ٱلْأَرْضَ[5]،لاندراج كل في اسم الواو والياء، ونحتاج على هذا التعريف إلى التنبيه على أن حروف المد لا تدغم فيما بعدها، أما على التعريف الأول الذي ذكرته، فلا حاجة لاستثناء الواو والياء المديتين لأن مخرجهما يختلف عن مخرج الواو والياء المتحرّكتين واللينتين(٦).

ثانياً: إدغام المتجانسين.

المتجانسان: هما الحرفان اللذان اتحدا مخرجاً واختلفا صفة(٧).

---

١ ـ سورة البقرة:١٨٥.
٢ ـ أحكام قراءة القرآن ١٢٤، حق التلاوة ١٥٤.
٣ ـ سورة الإسراء: ٣٣
٤ ـ سورة الكهف: ٧٨.
٥ ـ سورة يوسف: ٧١.
٦ ـ بتصرف من: المنير في أحكام التجويد ١٦٣.
٧ ـ المرشد ١٢٢، الوسيط ٣٠٠.

والتجانس أحد أسباب الإدغام، ولا يلزم من وجوده وجود الإدغام، بمعنى أنّ القرّاء لم يدغموا كل متجانسين، بل أدغموا من المتجانسين أحرفاً معينة على خلاف المتماثلين؛فحيث وقع التماثل وقع الإدغام، لذلك يعتبر إدغام التجانس أقل الإدغامات في القرآن الكريم، وذلك للسبب السابق، وكذلك لكثرة مخارج الحروف وبالتالي توزع الحروف على المخارج مما يقلل من اتحادها في المخرج، ومن أمثلة إدغام المتجانسين:عُيُونًا إِذ ظَّـلَمُوٓاْ ٱلۡأَرۡضَ[1]،عُيُونًايَلۡهَثۡ ذَّٰلِكَ ٱلۡأَرۡضَ[2].

ثالثاً: إدغام المتقاربين.

المتقاربان: هما الحرفان اللذان تقاربا في المخرج والصفة، أو في المخرج دون الصفة، أو في الصفة دون المخرج[3]، وعليه؛ فإن لإدغام المتقاربين ثلاث صور:

الأولى: أن يتقارب الحرفان مخرجاً وصفة، نحو: النون من اللام في قوله تعالى:عُيُونًا مِّن لَّدُنۡهُ ٱلۡأَرۡضَ[4].

الثانية: أن يتقارب الحرفان مخرجاً لا صفة، نحو: اللام مع التاء في قوله تعالى: عُيُونًا ٱلتَّوۡبَةُ ٱلۡأَرۡضَ[5].

الثالثة: أن يتقارب الحرفان صفة لا مخرجاً، نحو:النون مع الواو في قوله تعالى:عُيُونًا مِن وَالٍ ٱلۡأَرۡضَ[6].

والتقارب أحد أسباب الإدغام، ولا يلزم من وجوده وجود الإدغام أي كالتجانس، بمعنى أن القراء لم يدغموا كل متقاربين بل أدغموا حروفاً معينة.

---

١ ـ سورة النساء:٦٤.
٢ ـ سورة الأعراف:١٧٦.
٣ ـ حلية التلاوة: ٤٦، هداية القاري ٢٢٠/١، الوسيط ٢٩٦.
٤ ـ سورة الكهف:٢.
٥ ـ سورة النساء: ١٧.
٦ ـ سورة الرعد: ١١.

المطلب الرابع: أقسامه

ويقسم الإدغام إلى قسمين: كبير وصغير.

أولاً: الإدغام الكبير: وهو إدخال حرف متحرك بحرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً كالثاني،مثل إدغام التاء في الصاد في قوله تعالى:عُيُونًا وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ٱلۡأَرۡضَ[1]، وسمي كبيراً لكثرة الأعمال فيه، إذ يحتاج إلى إبدال الحرف الأول إن لم يكن متماثلاً مع الثاني، ثم تسكينه، ثم إدغامه في الثاني، وقيل: لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون(٢). ومن خلال استقرائي للقراءات المتواترة وجدت أن الإدغام الصغير أكثر وقوعاً وعدداً من الإدغام الكبير فإدغام النون الساكنة والتنوين تتبع الإدغام الصغير وهي تعد بالآلاف.

ثانياً: الإدغام الصغير: وهو إدخال حرف ساكن بحرف متحرك، بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً كالثاني، مثل إدغام الذال في التاء في قوله تعالى: عُيُونًا فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ[3]، وسمي صغيراً لقلة الأعمال فيه مقارنة بالكبير، فالحرف هنا ساكن بينما يحتاج إلى التسكين في الإدغام الكبير، وقيل: لقلة وقوعه مقارنة بالكبير إذ الحركة أكثر من السكون(٤)، وقد ذكرت سابقاً أنه من خلال استقرائي للقراءات المتواترة وجدت أن الإدغام الصغير أكثر وقوعاً من الكبير.

المطلب الخامس: مظاهر التيسير في الإدغام

سبق أن بينت أن فائدة الإدغام ابتداءً هي التيسير والخفة والسهولة، ويظهر التيسير جلياً في الإدغام في أمور كثيرة منها:

---

١ ـ سورة الصافات:١.
٢ ـ هداية القاري ٢٢١/١، الوسيط ٢٨٧.
٣ ـ سورة البقرة: ٥١
٤ ـ المنير في أحكام التجويد ١٦٠.

أولاً: سلاسة النطق وسهولته وسرعته وخفته، إذ أن نطق الحرفين مدغمين أقل زمناً من نطقهما مفككين، كما أن بالإدغام-وأخص الكامل هنا - وهو معظم الإدغامات- نتجاوز عن صفات المدغم من قلقلة وغنة وهمس وغيرها، وهذا فيه من التيسير ما لا يخفى، إذ أن صفات الحروف عموماً تأخذ زمناً في التطبيق وجهداً في الأداء، فبإدغامها نختصر هذا الجهد مما يسرع القراءة ويجعلها أكثر سهولة.

ثانياً: كثرة الإدغامات من حيث العدد، فليس الأمر متعلقاً بحالات خاصة، أو مواضع محددة لأنه إذ كان الأمر كذلك، فلا معنى للتيسير، أما وأنه وقع الإدغام في القرآن الكريم آلاف المرات-حسب القراءات المتواترة- وهنا أقصد جميع الإدغامات تماثلاً وتجانساً وتقارباً، كبيراً وصغيراً، فعلى سبيل المثال؛ بلغ عدد الإدغامات الكبيرة ألفاً وثلاثمائة واثنين وتسعين إدغاماً(١).

ثالثاً: كثرة الحروف المدغمة ببعضها، فليست كثرة الإدغامات التي أشرت إليها في النقطة السابقة مبنية على بعض الحروف، بل إن الإدغام في القراءات المتواترة يشمل حروفاً كثيرة، فعلى سبيل المثال: المدغم من المتماثلين سبعة عشر حرفاً، أي معظم حروف اللغة، وأزيد الأمر توضيحاً؛ فإدغام اللام في اللام وحده ورد مائتين وعشرين مرة(٢)، فهذا إدغام حرف واحد من سبعة عشر حرفاً من التماثل. ومثال آخر فحرف الدال من كلمة (قد) أدغم في ثمانية حروف، وكل حرف له أمثلة كثيرة، قال الشاطبي:

وقد سحبتْ ذيلاً ضفا ظل زرنب جلته صباه شائقاً ومعللا(٣)

أي أن (دال) (قد) تدغم في الحروف التالية: (س، ذ، ض، ظ، ز، ج،

١ - الدر النثير والعذب النمير ٢٠١.
٢ - الإدغام الكبير ١٦.
٣ - متن الشاطبية، البيت ٢٦٢

ص، ش)، مثل قوله تعالى:عُيُونًا وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ٱلْأَرْضَ[1]،عُيُونًا قَدْ سَمِعَ ٱلْأَرْضَ[2].

ومثال آخر إدغام حرف اللام من كلمتي (بل) و (هل) في ثمانية أحرف، قال الشاطبي:

ألا بل وهل تروي ثنا ظعـن زينب سـمير نواها طلح ضر ومبتلا (٣)

أي أن (لام)(بل) و(هل) تدغم في الحروف التالية:(ت، ث، ظ، ز، س، ن، ط، ض)، مثل قوله تعالى:عُيُونًا هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ ٱلْأَرْضَ[4]،عُيُونًا بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْأَرْضَ[5].

رابعاً: إن معظم الإدغامات جائزة حكماً، بمعنى أن القرّاء اختلفوا في إدغامها، أي أن قارئ القرآن ليس ملزماً بالإدغام إلا في الإدغام الواجب وهو بعض الإدغام، فالإظهار هو الأصل والأساس، والإدغام هو العرض، فهذه النقطة تأتي رداً على من يستثقل من حفظ حروف الإدغام وقواعده وشروطه واستثناءاته، فالأمر إذن فيه سعة، فمن القرّاء من أظهر معظم المدغمات مثل ابن كثير المكي، ولكن الرخصة واليسر موجودان في الإدغام لمن أحب أن يقرأ به، وهو أكثر ما يكون في قراءتي أبي عمرو ويعقوب البصريين.

المبحث الثاني: الهمزة

تعد الهمزة من الحروف المشكلة في اللغة العربية، فقد اختلف القدماء والمحدثون في تحديد مخرجها وتحديد صفاتها، ونظراً للصعوبة التي تصحبها في النطق، فقد عمد العرب إلى التخلص من هذه الصعوبة فنطقوها بصور

١ ـ سورة الملك: ٥.
٢ ـ سورة المجادلة: ١.
٣ ـ متن الشاطبية، البيت ٢٧٠.
٤ ـ سورة المطففين: ٣٦
٥ ـ سورة الأعلى: ١٦ .

متنوعة، قال أبو شامة: لما كانت الهمزة حرفاً جلداً على اللسان في النطق بها كلفة، بعيد المخرج، يشبه بالسعلة، لكونه نبرة من الصدر، توصِّل إلى تخفيفه، فسهل النطق بها، كما تسهل الطرق الشاقة والعقبة المتكلَّف صعودها، فلهذا سمي تخفيفها تسهيلاً (١).

المطلب الأول: **تعريف الهمزة**

لا بد هنا من التعريف بالهمزة وطرق الأداء التي تخفف الهمزة فيها، وهي لا تخرج عن التسهيل، والإبدال، والنقل، والإسقاط أو الحذف.

أولاً : الهمزة: لغة:مصدر(همز) الثلاثي، وأصل معناه –كما قال ابن فارس– : الهاء والميم والزاي: كلمة تدل على ضغط وعصر، وهمزت الشيء في كفي، ومنه الهمز في الكلام كأنه يضغط الحرف(٢)، فالهمز في اللغة: الضغط.

اصطلاحاً:ويطلق عليه التحقيق، أي تحقيق الهمزة، وعرّفه ابن الجزري: ضد التسهيل، وهو الإتيان بالهمزة أو بالهمزتين خارجات من مخارجهن مندفعات عنهن، كاملات في صفاتهن(٣).

ثانياً : التسهيل: لغة: مصدر(سهّل) الرباعي، وأصله من الثلاثي (سَهل) الذي يدل أصله –كما قال ابن فارس– : السين والهاء واللام : أصل واحد يدل على لين وخلاف (٤)، فالتسهيل في اللغة: التليين.

اصطلاحاً: أن ينطق بالهمزة بينها وبين الحرف المجانس لحركتها، فينطق بالمفتوحة بينها وبين الألف، وبالمكسورة بينها وبين الياء، وبالمضمومة بينها وبين الواو(٥). ويطلق على التسهيل

١ ـ إبراز المعاني ١٢٧.
٢ ـ مقاييس اللغة ٦٥/٦.
٣ ـ التمهيد ٥٧.
٤ ـ مقاييس اللغة ١١٠/٣-١١١.
٥ ـ الوافي في شرح الشاطبية ٦٩.

ألفاظاً أخرى عند السابقين مثل: التليين(١)، وبين بين(٢)، والإذابة(٣)، والإدغام(٤).

ثالثاً : الإبدال: لغة: مصدر(أبدل) الرباعي، وأصله من (بدل) الذي يدل أصله–كما قال ابن فارس– :الباء والدال واللام: أصل واحد وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب(٥).

اصطلاحاً:أن تبدل الهمزة حرف مد من جنس الحركة قبلها فتصير بعد الفتحة ألفاً وبعد الضمة واواً ، وبعد الكسرة ياءً(٦).

رابعاً : النقل: لغة: مصدر(نقل) الثلاثي، الذي يدل أصله–كما قال ابن فارس– : النون والقاف واللام: أصل صحيح يدل على تحويل شيء من مكان إلى مكان (٧).

اصطلاحاً: قال ابن الجزري: أما النقل فهو عبارة عن تعطيل الحرف المتقدم للهمزة من شكله، وتحليته بشكل الهمزة في حالتي الأداء في الوقف والوصل(٨).

خامساً : الإسقاط أو الحذف: اصطلاحاً: قال ابن الجزري: وأما الحذف فهو إعدامها –أي الهمزة– دون أن يبقى لها صورة(٩).

المطلب الثاني: فائدتها

سبقت الإشارة إلى أن الهمزة ثقيلة في النطق، صعبة في الأداء فتنوعت أساليب العرب في تخفيفها، والقراءات القرآنية إنما جاءت لتيسر على الناس،

١ ـ ينظر في ذلك: المبسوط ١١٣.
٢ ـ ينظر في ذلك: التبصرة ١٢٣، وإبراز المعاني ٧٥٠، والتمهيد ٢٧٥.
٣ ـ ينظر في ذلك: جامع البيان في القراءات السبع ٨٩.
٤ ـ ينظر في ذلك: جامع البيان في القراءات السبع ٩٠.
٥ ـ مقاييس اللغة ٢١٠/١.
٦ ـ الكنز ٦١، التمهيد ٥٦.
٧ ـ مقاييس اللغة ٤٦٣/٥.
٨ ـ التمهيد ٥٦.
٩ ـ التمهيد ٥٦.

وتخفف عنهم، لتصبح تلاوة القرآن سهلة سلسة،قال السيوطي: اعلم أن الهمز لما كان أثقل الحروف نطقاً وأبعدها مخرجاً، تنوع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفاً، ثم قال: وتحقيقه في أربعة أنواع: النقل، والإبدال، والتسهيل، والإسقاط(١).

المطلب الثالث: أقسامها

يقسم الهمز الذي يدخله التغيير في القرآن الكريم إلى قسمين رئيسين:

أولاً: الهمز المفرد؛ وهو أن يأتي الهمز غير مجاور لهمز آخر، ويقسم هذا النوع إلى قسمين: الهمز الساكن مثل: عُيُونًا ٱلذِّئْبُ ٱلْأَرْضَ[٢]،عُيُونًا وَبِئْرٍ ٱلْأَرْضَ[٣]، ٱلْأَرْضَ[٣]، والهمز المتحرك، مثل:عُيُونًا مُؤَذِّنٌ ٱلْأَرْضَ[٤]، عُيُونًا ٱلنَّبَإِ ٱلْأَرْضَ[٥]،وقد ورد في القرآن الكريم مئات المرّات ويصعب حصره.

ثانياً المتلاصقان؛ وهو أن تأتي همزتان متجاورتان، ويقسم إلى قسمين: في كلمة واحدة، أو في كلمتين.

أما القسم الأول-في كلمة واحدة-، فيقسم إلى قسمين: الأول: أن تكون الهمزة الأولى همزة استفهام وهي دائماً مفتوحة، وتكون الثانية مفتوحة، وقد وردت في القرآن الكريم في ثلاثة وعشرين موضعاً مثلچ كَأَنَّهُمْ ٱلْأَرْضَ[٦]، أو مكسورة، وقد وردت في القرآن الكريم في أربعة عشر موضعا مثل: عُيُونًا قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ٱلْأَرْضَ[٧]،ويلحق به الاستفهام المكرر الذي جاء في أحد عشر موضعاً، أو مضمومة، وقد وردت في ثلاثة مواضع

١ الإتقان في علوم القرآن ١/٢٠١-٢٠٢.
٢ ـ سورة يوسف: ١٧.
٣ ـ سورة الحج: ٤٥.
٤ ـ سورة الأعراف: ٤٤.
٥ ـ سورة النبأ: ٢.
٦ ـ سورة البقرة: ٦.
٧ ـ سورة المؤمنون: ٨٢.

فقط مثل:عُيُونًا أَءُنزِلَ ٱلذِّكْرُ[١].

وأما الثاني وهو الذي ليست همزته للاستفهام وإنما الهمزتان المتلاصقتان من أصل الكلمة فقد وردت في كلمة واحدة في خمسة مواضع من القرآن الكريم وهي كلمةجِأَيِمَّةَ ٱلْأَرْضَ[٢].

وأما القسم الثاني –في كلمتين–، حيث تكون الهمزة الأولى في آخر الكلمة، وتكون الهمزة الثانية في أول الكلمة التالية، وبالنظر إلى الحركات الثلاث فقد يقع عقلاً على تسع صور، وقد ورد منه في القرآن الكريم على ثمان صور، وهي على الترتيب حركة الأولى ثم حركة الثانية:

فتح فتح؛ وقد وردت تسعة وعشرين مرة مثل:عُيُونًا ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى[٣].

كسر كسر ؛ وقد وردت ثمان عشرة مرة مثل:عُيُونًا وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا[٤].

ضم ضم؛ وقد وردت مرة واحدة في:عُيُونًا أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ[٥].

فتح كسر ؛ وقد وردت تسع عشرة مرة مثل:عُيُونًا وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ[٦].

فتح ضم؛ وقد وردت مرة واحدة في عُيُونًا جَآءَ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ[٧].

ضم فتح؛ وقد وردت ثلاث عشرة مرة مثل:عُيُونًا رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ[٨].

ضم كسر ؛ وقد وردت ثمان وعشرين مرة مثل:عُيُونًا نَّشَآءُ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ[١].

---

١ ـ سورة ص: ٨.
٢ ـ سورة التوبة:١٢، سورة الأنبياء:٧٣، سورة القصص: ٥، سورة القصص: ٤١، سورة السجدة:٢٤.
٣ ـ سورة النساء: ٥.
٤ ـ سورة البقرة: ٣١.
٥ ـ سورة الأحقاف: ٣٢.
٦ ـ سورة المائدة: ١٤.
٧ ـ سورة المؤمنون: ٤٤.
٨ ـ سورة البقرة: ١٣.

كسر فتح؛ وقد وردت ست عشرة مرة مثل:عُيُونَا ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱلْأَرْضَ[٢].

فهذه ثمان صور لحركة الهمزات وردت في القرآن الكريم، أما الصورة التاسعة وهي: كسر ضم فلم ترد في القرآن الكريم عند أي من القرّاء(٣).

المطلب الرابع: أحكامها

من المعلوم لكل متخصص في القراءات القرآنية، كثرة أحكام الهمزة وتشعباتها، ولكني سأذكر هنا وجوه الأداء التي تبين المراد من البحث؛ وهو التيسير والتسهيل على الأمة من خلال الوجوه المتعددة في التطبيق.

أولاً: الهمز المفرد الساكن والمتحرك: إن المتتبع للقراءات العشر المتواترة يجد أن تخفيف الهمز المفرد الساكن والمتحرك يندرج تحت الطرق التالية:

١- الإبدال: كإبدال الهمز الساكن لورش، والسوسي، وأبو جعفر، مثل: (يؤمنون، بئس، يأجوج)، وكذلك إبدال الهمز المتحرك ضمن قواعد واستثناءات متعددة، مثل: (مؤذن)، وتفصيله في كتب القراءات.

٢- التسهيل: مثل تسهيل همزات: (اطمئنّ، أرأيت، إسرائيل) لبعض القرّاء.

٣- الحذف: مثل حذف الهمزة وقفاً في: (الصابئين، مستهزئين، متكئين) لحمزة وأبي جعفر.

٤- النقل: كالنقل في (ال التعريف)، والهمز المنفصل رسماً، بحيث تنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها فيتحرك بحركتها ثم تحذف الهمزة كما قرأ

---

١ ـ سورة الأنعام: ٨٣.

٢ ـ سورة الأنفال: ٣٢.

٣ ـ ينظر في ذلك: الدر النثير والعذب النمير ٣٤٠ – ٤٢٣، والوافي في شرح الشاطبية ٦٨-١٠٥، والفرقان المبين في إفراد وجمع أصول القراءات العشر المتواترة ٦٩٤-٧١٦.

ورش وحمزة وخلف نحو: (الأرض، خلو إلى) [1].

ثانياً: الهمزتان من كلمة الأولى للاستفهام: إن المتتبع للقراءات العشر المتواترة يجد أن تخفيف الهمزتين من كلمة الأولى فيه للاستفهام يندرج تحت الطرق التالية:

١- التحقيق مع الإدخال، كما قرأ هشام عن ابن عامر.

٢- تسهيل الثانية مع الإدخال كما قرأ قالون، وأبو عمرو، وأبو جعفر.

٣- تسهيل الثانية بلا إدخال كما قرأ ورش، وابن كثير، ورويس.

٤- إبدال الثانية حرف مد من جنس حركة الهمزة، ويمد ست حركات إن جاء بعده ساكن، وحركتين إن جاء بعده متحرك، كما قرأ ورش من طريق الأزرق[2].

ثالثاً :الهمزتان من كلمة الأولى ليست للاستفهام بل أصلية:وهذا لم يرد إلا في كلمة واحدة في خمسة مواضع،وهي كلمة﴿عُيُونًا أَئِمَّةً ٱلْأَرْضَ[3]، وتخفيف القرّاء فيها بإحدى الصور التالية:

١- تسهيل الثانية بلا إدخال، كما قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ورويس.

٢- تسهيل الثانية مع الإدخال، كما قرأ أبو جعفر.

٣- التحقيق مع الإدخال، كما قرأ هشام.

رابعاً : الهمزتان من كلمتين:وصورها الواردة في القرآن الكريم ثمان، وتفصيل طرق أدائها مبسوط في مظانه، وليس هو مقصود البحث ولكن التخفيف في الهمز يكون بإحدى الطرق التالية:

---

١ ـ ينظر في ذلك: الدر النثير والعذب النمير ٣٥٠-٣٧٢، والوافي في شرح الشاطبية ٧٤-٩١، والفرقان المبين في إفراد وجمع أصول القراءات العشر المتواترة ٧٠٧-٧١٦.

٢ ـ ينظر في ذلك: البدور الزاهرة ١٠-٤٥.

٣ ـ سورة التوبة:١٢، سورة الأنبياء:٧٣، سورة القصص: ٥، سورة القصص: ٤١، سورة السجدة:٢٤.

١- تحقيق الأولى وتسهيل الثانية.

٢- تحقيق الأولى وإبدال الثانية.

٣- إسقاط الأولى وتحقيق الثانية.

٤- تسهيل الأولى وتحقيق الثانية[١].

ومن المعلوم أن كل الهمزات سواء كانت في كلمة أو في كلمتين، مفردة أو متلاصقة، تقرأ بالتحقيق وهو الأصل في نطق الهمزة.

المطلب الخامس: مظاهر التيسير في الهمزة

أولاً: كثرة عدد الكلمات في القرآن الكريم التي فيها همز، والتي يجري فيها التغيير عند كثير من القرّاء من تسهيل أو إبدال أو إسقاط أو نقل، فالكلمات بالآلاف ويصعب حصرها.

ثانياً: كثرة أسباب التغيير في نطق الهمز وكثرة طرق الأداء، فالحالات المسببة للتغيير كثيرة جداً، سواء للهمز المفرد أو الهمز المتلاصق؛ في كلمة أو كلمتين، وكذلك طرق الأداء متعددة ومختلفة، فطريقة الأداء التي تصعب على شخص، يجد لها طريقاً آخر في الأداء.

ثالثاً: سهولة النطق للهمز بعد تغييره عن لفظه المشهور وهو التحقيق، وهذا لا يخفى، وفيه يقول الدكتور عبد العزيز المزيني: إبدال الهمزات في رواية ورش والسوسي، أسهل لعامة الناس من تحقيق الهمزة فيها، نحو إبدال الهمزة واواً في (يؤمنون، يؤاخذكم) هكذا: (يومنون، يواخذكم)، وإبدالها ياء في: (وبئر، بئس، الذئب) هكذا: (وبير، بيس، الذيب)، ،إبدالها ألفاً في (يأكلون، تأمرون) هكذا: (ياكلون، تامرون)، وغيرها، فلا شك أن هذا أسهل لعامة الناس من تحقيق الهمز، بل حتى الهمز المتطرف؛ فإن الوقف عليه بالإبدال نحو(السماء، يشاء) على قراءة حمزة ورواية هشام، أسهل للعامة

١ ـ ينظر في ذلك: البدور الزاهرة ١٠-٤٥، والوافي في شرح الشاطبية ٦٨-١٠٥.

من الهمز على رواية حفص وغيره[١].

رابعاً: ومن مظاهر التيسير أيضاً، أن التغاير في نطق الهمزة أو طرق الأداء الأخرى غير التحقيق بوجوهها المتعددة، إنما هي في قراءات دون أخرى، بمعنى أن من اعتاد على تحقيق الهمز في لغته ولسانه، فله أن يقرأ بالتحقيق، فهذا حفص مثلاً، يقرأ كل الهمزات بالتحقيق إلا كلمة واحدةعُيُونًا ءَاْعْجَمِيٌّ ٱلْأَرْضَ[٢]، فطرق أداء الهمزات متعددة ويستطيع كل قارئ أن يقرأ بالأيسر عليه، والأقرب لما اعتاد لسانه، فبأي قراءة قرأ، فقد قرأ القرآن الكريم؛عُيُونًا وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٱلْأَرْضَ[٣].

المبحث الثالث: الإمالة

المطلب الأول: تعريف الإمالة

أولاً : لغة: الإمالة: مصدر أمال الرباعي وهو من الثلاثي (ميل)، وأصل معناه –كما قال ابن فارس– : الميم والياء واللام كلمة صحيحة تدل على انحراف في الشيء إلى جانب منه[٤]، وقال ابن منظور: الميل: العدول إلى الشيء والإقبال عليه[٥].

ثانياً : اصطلاحاً: للإمالة في الاصطلاح تعريفات كثيرة أذكر بعضها.

عرفها الجعبري: والألف ينقسم إلى لفظ مستقيم وهو الفتح، وإلى معوج وتسمى الإمالة ولياً وبطحاً[٦].

وعرّفها مكي: اعلم أن الإمالة إنما تكون في الألف، ومعناها أن تقرّب الألف نحو الياء، وإذا قربت الألف إلى الياء لم يكن ذلك حتى تقرب الفتحة

١ ـ مباحث في علم القراءات ٢٧٣.
٢ ـ سورة فصلت: ٤٤
٣ ـ سورة القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠
٤ ـ مقاييس اللغة ٢٩٠/٥.
٥ ـ لسان العرب ٤٣٠٩/٥، وينظر: القاموس المحيط ٥٤/٤.
٦ ـ شرح الجعبري ١٤٨.

التي قبلها نحو الكسرة[١].

وعرّفها ابن الجزري: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيراً وهو المحض، ويقال له الاضجاع ويقال له البطح وربما قيل له الكسر أيضاً، وقليلاً (أي تنحو بالفتحة نحو الكسرة قليلاً) وهو بين اللفظين ويقال له التقليل والتلطيف[٢].

ولخص عبد الفتاح القاضي هذه التعريفات فعرّفها: الإمالة الكبرى أن تقرّب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مفرط وهي الإمالة المحضة وتسمى الاضجاع، وإذا أُطلقت الإمالة انصرفت إليها، أما الإمالة الصغرى فهي ما بين الفتح والإمالة الكبرى وتسمى التقليل وبين بين، أي بين لفظي الفتح والإمالة الكبرى[٣].

المطلب الثاني: فائدتها

قال السيوطي: وأما فائدتها فسهولة اللفظ وذالك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح، فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل(٤).

إذاً فالإمالة تهدف إلى زيادة اليسر والتخفيف على قارئ القرآن، فهي أسهل نطقاً وأقل جهداً في حركة اللسان، ومن لم يعتد عليها فله أن يقرأ بالفتح فالقرّاء ما بين مميل وفاتح.

المطلب الثالث: أسبابها

وللإمالة أسباب توجبها، قال ابن الجزري: هي عشرة ترجع إلى شيئين؛ أحدهما: الكسرة والثاني: الياء، وكل منهما يكون متقدماً على محل الإمالة من الكلمة ويكون متأخراً، ويكون أيضاً مقدراً في محل الإمالة، وقد تكون

١ ـ التبصرة ٢٠٠.
٢ ـ النشر ٣٠/٢.
٣ ـ الوافي في شرح الشاطبية ١١٥.
٤ الإتقان في علوم القرآن ١٨٦/١.

الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ ولا مقدرتين ولكنهما مما يعرض في بعض تصاريف الكلمة[1].

وقد حصرها أبو بكر السرّاج في أصوله وفيما نقل أبو علي الفارسي عنه إلى ستة أسباب، وكذلك عدّها صاحب المبهج: وهي: كسرة تكون قبل الألف أو بعدها، وياء، وألف منقلبة عن الياء، وألف مشبهة بالألف المنقلبة عن الياء، وكسرة تعرض في بعض الأحوال، وإمالة لإمالة ما لم يمنع من ذلك الحروف المستعلية أو الراء غير المكسورة[2].

أما السبب الأول: وهو إمالة الإلف للكسرة قد تكون الكسرة بعد الممال وقد تكون قبله، فالأول ينقسم قسمين: ما فيه راء وما لا راء فيه، والذي فيه راء ينقسم قسمين: أن تكون كسرة الراء كسرة إعراب وينقسم قسمين ألف زائدة للمد، وألف منقلبة من أصل، أو كسرة بناء. ومن الأمثلة على ذلك: (أبصار، أسحار، الكفار، ديار، جدار، النهار، سحّار، بدينار، الإبكار، النار، الكافرين، جبارين، عابدون، الربا، الإكرام).

السبب الثاني: إمالة الألف المنقلبة: لا تخلو الألف المنقلبة عن ياء أو واو في أن تكون في اسم أو فعل، وتعرف ذوات الياء من الأسماء بالتثنية، ومن الأفعال برد الفعل إليك، فإذا ظهرت الياء فهي أصل الألف، وإلا، فأصلها من الواو. ومن الأمثلة الممالة من هذا النوع: (مولى، فتى، الهدى، الهوى، المأوى، أتى، رمى، سعى، عسى).

السبب الثالث: إمالة الألف المشبهة بالمنقلبة: وهذا الباب له أربعة أوزان(فَعلى وفِعلى) وتكون ألفهما للتأنيث، وقد تكون للإلحاق. (و فُعلى وفُعالى) ولا تكون ألفهما إلا للتأنيث. ومن الأمثلة على ذلك: (الموتى، التقوى، شتى، صرعى، عيسى، ضيزى، أنثى، الدنيا، موسى، أسارى،

١ ـ النشر ١٧٤/٢.
٢ ـ المبهج ٢٥١، الكنز٨٣ ، النشر٢/ ١٧٤-١٧٧

كسالى).

السبب الرابع: الإمالة لكسرة تكون في بعض الأحوال: وقد وقع في عشرة أفعال في القرآن الكريم وهي:(جاء، شاء، زاد، ران، خاف، طاب، خاب، حاق، ضاق، زاغ) سواء اتصلت بهذه الأفعال ضمائر أم لم تتصل، بشرط أن تكون ثلاثية ماضية.

السبب الخامس: الإمالة للإمالة: وهو ما أُميل لأجل الإمالة ولا يخلو أن يكون فعلاً أو اسماً فالأفعال ثلاثة: (رأى، نأى، تراءى)، والأسماء ستة: (النصارى، اليتامى، كسالى، سكارى، بسكارى، خطاياكم) والمقصود هنا ليس إمالة الألف فهي ممالة، وإنما الحروف التي قبل الألف مثل (الصاد) في (النصارى)، و(التاء) في (اليتامى)... .

السبب السادس: إمالة الألف للياء مثل الكافرين وهو واضح[1].

وهنا أشير إلى أن العدد في أسباب الإمالة فيه خلاف وتداخل، فذكر ابن الجزري أنها عشرة ثم قال وترجع إلى شيئين: الكسرة والياء، لكن المراد هنا بيان سعة وكثرة الإمالة في القرآن الكريم، كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الأسباب منها ما هو محط ضعف عند اللغويين، إلا أنه يعد من الأسباب القوية عند القرّاء وبالعكس، كما أن هناك أسباباً خاصة باللغة ولم يقرأ بها[2].

المطلب الرابع: أقسامها

وتنقسم الإمالة إلى قسمين؛ كبرى وصغرى. فالكبرى متناهية في الانحراف، والصغرى متوسطة بين اللفظين أي بين لفظ الفتح والإمالة المحضة. وعرف ابن الجزري الإمالة الكبرى: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة

١ ـ الفرقان المبين في إفراد وجمع أصول القراءات العشر المتواترة ٧٣٢-٧٣٩.
٢ ـ بتصرف من مصطلحات علم القراءات ٣٠١/١، وينظر في ذلك: أوضح المسالك ٣١٧/٤، وشرح الأشموني ٢٢١/٤، وشرح التصريح ٣٤٧/٢.

وبالألف نحو الياء كثيراً، ويقال له الاضجاع ويقال له أيضاً البطح، وربما قيل له الكسر. أما الإمالة الصغرى فهي: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء قليلاً وهو بين اللفظين، ويقال لها أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين(١).

المطلب الخامس: مظاهر التيسير في الإمالة

سبق أن فائدة الإمالة هي سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، كما قال السيوطي، ومظاهر التيسير في الإمالة متنوعة أذكر منها:

أولاً: كثرة عدد الكلمات الممالة في القرآن الكريم، فهي تزيد على أربعة آلاف إمالة[٢]، وأضرب هنا بعض الأمثلة للدلالة على ذلك:

- إمالة لفظ (النار، الجار، الدار) المكسورات، وقد وردت ٨٨ مرة.
- إمالة ما جاء على وزن (أفعل) من ذوات الياء مثل (أوحى، ألقى، أحصى)، وقد ورد ١٢٣مرة، وما كان على وزن (افتعل)من ذوات الياء أيضاً مثل (اهتدى، استوى، افترى)، وقد ورد ٧٧ مرة، وما كان على وزن (يُفعل، نُفعل، تُفعل)-بضم أوائلهن- مثل: (يؤتى، نؤتى، يوحى، ننسى، تجزى)، وقد وردت ٧٣مرة، وإمالة الألف المشبهة بالمنقلبة على وزن (فُعلى) مثل (أنثى، دنيا، موسى)، وقد وردت ٣٩١مرة. والأمثلة أكثر من أن تحصى، فهذا غيض من فيض.

ثانياً: سهولة النطق خاصة أن بعض القبائل قديماً وحديثاً اعتادت الكلام بالإمالة، فاستقام لسانها هذا الأسلوب فمن الصعب والعسير عليهم أن يقرؤوا القرآن بالفتح، وهذا مشاهد في أيامنا المعاصرة في بعض الدول كلبنان مثلاً فشعبها يتكلم بالإمالة عموماً، فمن اليسر والسهولة أن

١ ـ النشر ١٧١/٢، الإقناع ٢٦٨/١، سراج القارئ ١٠٢-١٠٣.
٢ ـ ينظر: الإبداع الكريم في قراءة الكسائي ١٧٩-٢٥١ و ٢٥٤-٣٠٥

توافق قراءتهم للقرآن ما اعتادت ألسنتهم من النطق.

ثالثاً: كثرة أسباب الإمالة وحالاتها، وعليه نجد التعدد في الكلمات الممالة وهذا ما أدى إلى كثرة الكلمات الممالة عموماً، كما في النقطة الأولى السالفة الذكر، كذلك وجود درجتين للإمالة –كبرى وصغرى– مما يعطي قارئ القرآن خيارات أكثر وطرائق أوسع، فهذا يضفي على السعة واليسر سعة ويسراً.

رابعاً: ومن اليسر أيضاً أن الإمالة إنما هي طريقة أداء لبعض القراء دون بعض، بمعنى أن القارئ ليس ملزماً بها بل هو مخيّر، بحيث لو لم يعتد الإنسان عليها كما هو الحال عند معظم المسلمين في أيامنا المعاصرة، فلا إثم ولا حرج بترك القراءة فيها، ونجد القرّاء عموماً ما بين مكثر ومثل فيها؛ فقالون، وابن عامر، وعاصم، مقلّين، أما ورش، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، فمكثرين ، وابن كثير لا إمالة عنده مطلقاً[1].

١- في الدراسات القرآنية واللغوية ١٠٨.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، فهذه أبرز النتائج التي خرج بها البحث:

١- وردت كلمة (اليسر) بمشتقاتها المختلفة إحدى وأربعين مرة في القرآن الكريم، منها ثمان مرات تتعلق بيسر القرآن الكريم خاصة.

٢- ثمة عشرات الأحاديث الصحيحة التي توضح الحكم من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، والتي أهمها التيسير والتخفيف على الأمة.

٣- حرص الصحابة على القرآن الكريم تلاوة وتعلماً، والدفاع عنه، والرد على من أخطأ فيه، والتصدي لمن خالفه.

٤- رحمة الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالأمة وحرصه عليها وطلب التخفيف لها في زيادة أحرف القرآن.

٥- كثرة وجوه القراءات وتعدد طرق الأداء في القراءات القرآنية.

٦- معظم طرق الأداء اختيارية للقارئ وليست ملزمة، مما يزيد من التيسير على الأمة.

٧- ألسنة العرب تختلف في النطق قديماً وحديثاً.

٨- استيعاب القراءات القرآنية لكثير من لهجات العرب وطرائق نطقها.

٩- اليسر والسهولة والتخفيف من أهم أسباب نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، وهي التي نشأت منها القراءات القرآنية.

١٠- يعد الإدغام، والهمز، والإمالة، من أكثر أصول القراءات أوجهاً في الأداء، وأكثرها تكراراً في القرآن الكريم.

١١- صعوبة القراءات القرآنية، مقولة غير صحيحة، وإنما الصعوبة في ألسنة وهمم الناس، وإلا فالقرآن الكريم ميسر بكل ما فيه،عُيُونًا وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٱلْأَرْضَ.

وأسأل الله التوفيق والسداد،فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

- الإبداع الكريم في قراءة الإمام الكسائي، محمد بن عبد الله عبده، د.ن، عمان، ط١، ٢٠٠٥م.
- إبراز المعاني، أبو شامة المقدسي، ت٦٦٥هـ، تحقيق إبراهيم عوض، طبعة مصطفى البابي، القاهرة،ط١، ١٩٨١م.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ت٩١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، ٢٠٠٣م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، الدمياطي، ت ١١١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.
- أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود الحصري، ت١٤٠١هـ، تحقيق محمد طلحة بلال، جماعة تحفيظ القرآن الكريم، مكة، ط١، ١٩٩٥م.
- الإدغام الكبير في القرآن، أبو عمرو الداني، ت٤٤٤هـ، تحقيق د. زهير غازي، دار عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أ.د. أحمد الخرّاط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٦هـ .
- الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، ت ٥٤٠هـ، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، ت٧٦١هـ، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي،ت ٧٥٤هـ، دار الفكر ، بيروت،ط٢،١٩٨٣م.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، عبد

الفتاح القاضي ت١٤٠٣هـ، دار السلام،القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م.
- التبصرة في القراءات السبع، مكي القيسي، ت ٤٣٧هـ، تحقيق محمد غوث الندوي، الدار السلفية، الهند، ط١، ١٩٧٩م.
- التجويد الميسر، د. علي الحذيفي وآخرون، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ط٢، ٢٠١٢م.
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ت ١٣٧٩هـ، دار الكتب التونسية، تونس، ط١، ١٩٧٠م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي، ت ٦٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، ت٨٣٣هـ، تحقيق علي حسين البواب، دار المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٥م.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، ت٣١٠هـ، تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- جامع البيان في القراءات السبع، الداني، ت ٤٤٤هـ، جامعة الشارقة، ط١، ٢٠٠٧م.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت٦٥٨هـ، دار الفكر، بيروت، د.ط.، ١٩٩٤م.
- جمال القرّاء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، ت٦٤٣هـ، تحقيق د. علي البواب، مكتبة التراث، مكة، ط١، د.ت.
- جهد المقِل في تجويد القرآن العظيم، محمد المرعشي، ت١١٥٠هـ، تحقيق د. أبو السعود الفقراني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- حق التلاوة، حسني شيخ عثمان، دار العدوي، عمان، ط٣، ١٤٠١هـ.
- حلية التلاوة في تجويد القرآن، د. رحاب شقطي، الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن، جدة، ط٢، ٢٠٠٨م.

- الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي، ت ٩١١، تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر،القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
- الدر النثير والعذب النمير شرح كتاب التيسير، المالقي، ت ٧٠٥هـ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي، ت ١٢٧٠هـ ، تحقيق محمد أحمد الأمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- سراج القاري المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، علي بن القاصح، ت٨٠١هـ، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط٣، ١٩٥٤م.
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، ت ٣٠٢هـ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب، ط٢، ١٩٨٦م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي الأشموني، ت٩٢٩هـ، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.
- شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، ت٩٠٥هـ، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٩٦٨م.
- شرح صحيح مسلم، النووي، ت ٦٧٦هـ، تحقيق مجموعة محققين، دار أبو حيان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- شرح المفصل، ابن يعيش النحوي، ت ٦٤٣هـ، دار الطباعة المنيرية، مصر، د.ط، د.ت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني،ت ٨٥٢هـ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١،١٣٨٠هـ.
- فتح القدير، الشوكاني، ت ١٢٥٠هـ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٩م.

- الفرقان المبين في إفراد وجمع أصول القراءات العشر المتواترة من طرق الشاطبية والدرة وطيبة النشر، محمد عبده، معاصر، مطبعة الخط العربي، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.
- فيض القدير، المناوي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، د.ط، د.ت.
- القاموس المحيط، الفيروزأبادي، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
- الكنز في القراءات العشر، أبو الوجيه الواصفي، ت٧٤٠هـ، تحقيق هناء الحمصي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، ت٧١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.
- اللهجات العربية في التراث، د. أحمد الجندي، الدار العربية، ليبيا، ط١، ١٩٨٣م.
- مباحث في علم القراءات، د. عبد العزيز المزيني، دار كنوز إشبيلية، الرياض، ط١، ٢٠١١م.
- المبسوط في القراءات العشر، ابن مهران الأصبهاني، ت٣٨١هـ، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، سوريا، ط٢، ١٩٨٨م.
- المبهج في القراءات السبع، سبط الخياط، ت٥٤١هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م.
- متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، الشاطبي، ت٥٩٠هـ، ضبط ومراجعة محمد تميم الزعبي، دار الغوثاني، دمشق، ط٥، ٢٠٠٧م.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي، ت ٦٦٥هـ، تحقيق طيار قولاج، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت٢٤١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط١٤١٣،١هـ.

- مصحف القراءات العشر المتواترة، علوي بلفقيه، إشراف محمد كريم راجح، دار المهاجر، المدينة المنورة، ط٤، ٢٠٠٢م.
- مصطلحات علم القراءات، د. حمدي الهدهد، دار البصائر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
- مقاييس اللغة، ابن فارس، ت٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- مناهل العرفان، الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، د.ت.
- المنير في أحكام التجويد ، أ.د. أحمد شكري وآخرون، المطابع المركزية، عمان، ط٢٢، ٢٠١٣م.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ت ٨٣٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.، د. ت.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ت ٨٨٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- النكت والعيون، الماوردي،ت٤٥٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- هداية القاري إلى كلام الباري ، المرصفي، ت ١٤٠٩هـ، مكتبة طيبة،المدينة المنورة ط٢،
- الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح القاضي، ت١٤٠٣هـ، دار السلام، القاهرة ، ط٢،٢٠٠٤م.
- الوسيط في علم التجويد، د. محمد خالد منصور، دار النفائس، عمان، ط١، ١٩٩٩م.
- في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط٢، ١٩٧١م.